

صورة النبي ﷺ في مرآة التصوف الإسلامي

- قراءة في مديح فريد الدين العطار النيسابوري -

The image of the Prophet, peace and blessings be upon him, in the mirror of Islamic Sufism
- A reading of the praise of Farid al-Din al-Attar al-Nisaburi.

معمر قول¹

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

koulkoul6@gmail.com

تاريخ الوصول: 2020/06/03 القبول : 2021/04/05 النشر علي الخط: 2021/06/15

Received: 31/01/2020 Accepted : 23/12/2020 Published online : 15/06/2021

ملخص :

شكّلت شخصية النبي محمد ﷺ مصدر إلهام لكثير من الشعراء قديما وحديثا، وكان الجناب الأحمدى مجالا خصبا في التراث الصوفي، وهو ما يتجلى في الصورة النورانية التي رسمها المتصوفة للنبي ﷺ، وقد أسهم أدباء الفرس بحظ وافر فيه، وأبرز تلك الآثار الأدبية أعمال فريد الدين العطار النيسابوري خلال القرن السابع الهجري، من خلال أعماله الشعرية [منطق الطير - إلهي نامه - مصيبت نامه]، وغيرها، وبالاطلاع على هذه الآثار نجد حضورا كبيرا للجناب المحمدي من خلال مديح العطار له، حيث رسم لنا صورة عرفانية عالية جدا للنبي ﷺ، من خلال منظوماته الثلاث، حيث يظهر النبي ﷺ من خلالها أنموذجا للإنسان الكامل والوعاء الاستيعابي لجميع الناس باختلاف مللهم وطوائفهم وألسنتهم، ومعلما للرحمة الإلهية، ومحورا رئيسا للمشارك الإنسانية، ونورا لجميع الموجودات، ولما كان إدراك مقامه وقدره متعذرا عبر العطار بالعجز المطلق عن إمكانية رسم صورة متكاملة له، جاعلا مديحه كله لروح المصطفى ﷺ طالبا لطفه ونوره، جاعلا نفسه كالفرشة أمام أنوار النبي ﷺ.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن إسهام متصوفة فارس في المديح النبوي، وبيان ثراء وغنى التراث الصوفي بالقيم الروحية وإبراز مكانة النبي ﷺ فيه .

الكلمات المفتاحية: النبي ﷺ - النور المحمدي - الإنسان الكامل - العطار - المديح .

Abstrac:

The personality of the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, was a source of inspiration for many ancient and modern poets, and Al-Janabi Al-Ahmadi was a fertile field in the Sufi heritage, which is evident in the luminous image that the Sufis depicted of the Prophet, peace and blessings be upon him. Literary monuments The works of Farid al-Din al-Attar al-Nisaburi during the seventh century AH, through his poetic works [logic of the bird - divine sleeper - misfortune of sleep], and others, and by looking at these monuments we find a great presence of Janabi al-Muhammadi through his praise of al-Attar, where he drew us a high-level portrait The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, through his three systems, Where the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, appears through it as a model of the complete human being and the receptive vessel for all people, according to their different religions, sects, and tongues, and a landmark of divine mercy, a major axis of the human participant, and a light for all foundations. He made his entire praise of the soul of the Mustafa, peace be upon him, asking for his kindness and light, making himself like a butterfly in front of the lights of the Prophet, may God bless him and grant him peace.

The importance of this study lies in revealing the contribution of Sufis Sufis to the Prophet's praise, showing the richness and richness of Sufi heritage with spiritual values and highlighting the position of the Prophet, peace and blessings be upon him.

key words: The Prophet, peace and blessings be upon him - the Mohammedan light - the perfect human - Attar - praise.

¹ المؤلف المرسل: قول معمر الإيميل: koulkoul6@gmail.com

مقدمة:

يُعتبر موضوع المديح النبوي مجالاً شغل حيزاً كبيراً في التراث الأدبي وظهر كفنٌ مُستقلٌ بذاته، وقد أسهم الشعراء العرب بحظ وافر فيه، فمن القدامى الإمام البوصيري صاحب البردة، ومن المعاصرين أحمد شوقي والبارودي، ورغم اهتمامات الدارسين بالمديح النبوي في لسانه العربي، إلا أن الاهتمام بأدب الفرس من طرف الباحثين العرب كان قليلاً جداً، ولولا تلك الجهود المباركة التي قام بها بعض الباحثين المتميزين كعبد السلام كفاي-دسوقي شتّا- عبد الوهاب عزام-إسعاد عبد الهادي قنديل -محمد بديع جمعة - عيسى علي العاكوب، ما كانت لتصل إلينا (بالحرف العربي) أعمال العطار، والرومي وحافظ الشيرازي وغيرهم، وبالاطلاع على أعمال فريد الدين العطار النيسابوري نجد حضوراً كبيراً للمديح النبوي بلغة عرفانية موهلة في الرمزية، وهي سمة تميّز بها القرنان 6+7 الهجريان، حيث عرف التصوف الإسلامي ازدهاراً كبيراً وبلغ ذروته مع الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ومولانا جلال الدين الرومي، وقد طُبِعَ التصوف في هذه المرحلة بمسحة عرفانية امتزج فيها النص الصوفي مع مباحث المعرفة والوجود، وقد خَلَفَ لنا العطار آثاراً جمة تؤكد على عبقريته وتأثيره في شعراء التصوف من بعده، وأبرز ما خلفه لنا كان تراثاً منظوماً، ضمّنه العطار مُختلف آرائه، ومن أبرز المحاور حضوراً في نصوص العطار الشعرية مديحه للنبي ﷺ، في منظوماته الثلاث التي خلفها، وهي: [منطق الطير -إلهي نامه-ديوان الالم]، لذا سنحاول من خلال هذه الورقة أن نُسلط الضوء على المديح النبوي عند العطار من خلال آثاره المنظومة .

من خلال ما سبق ذكره نطرح الإشكالية التالية:

ما مدى حضور شخصية النبي ﷺ في الأدب الفارسي من خلال الآثار المنظومة لفريد الدين العطار؟ وما هي الصورة التي رسمها العطار للنبي ﷺ؟ وما هي الينابيع المعرفية والعرفانية لهذه الصورة؟. وإلى أي مدى استطاع العطار أن يرسم صورة نورانية للنبي ﷺ تؤكد مكانته في التراث الصوفي العرفاني؟.

وتسعى هذه الورقة إلى تحقيق جملة من الأهداف أبرزها: تسليط الضوء على صورة النبي ﷺ عند فريد الدين العطار من خلال آثاره مع إبراز المضامين الصوفية والروحية التي تضمنها مديح العطار للنبي ﷺ، وإبراز جهد متصوفة فارس في إثراء المديح النبوي في ظل اهتمام الدراسات بصورة النبي ﷺ في الأدب العربي، وهو ما يُعَيِّب جهد متصوفة فارس، ويُفَوِّت على الباحثين والدارسين فرصة الاستفادة والاطلاع على التراث الإسلامي في لغاته الأخرى .

وقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستلھام أقوال فريد الدين العطار من خلال أعماله الرئيسية الثلاث: [منطق الطير -إلهي نامه -مصيّت نامه]، ومحاولة تحليلها على ضوء أبرز الدراسات الأدبية التي حاول أصحابها رسم صورة للنبي ﷺ تحاكي مدارسهم ومشاربهم وبيئاتهم المختلفة .

1 . لمحة عن فريد الدين العطار وعصره

1.1. اسمه ومولد ونشأته: من الملفت للانتباه الغموض الذي يكتنف حياة العطار كلّها، وهو ما سجّله بديع محمد جمعة في مقدمة تحقيقه لمنطق الطير: "إنّ الغموض يكتنف سيرة العطار، ويلقي بظله على كلّ جانب من جوانب حياته، ويمتدّ هذا الغموض إلى اسمه ولقبه وكنيته...¹" وهو ما سجّله أيضا المستشرق إدوارد براون في دراسته عن الأدب في إيران: "التفاصيل المتعلقة بحياة العطار لا يصحّ منها إلاّ أخبار قليلة مذكورة في كتب التراجم"².

أما اسم العطار هو محمد، وهو ما صرح به في معرض مديحه للنبي ﷺ: "وبحقّ المشاركة في الاسم"³ أي محمد، وفي منظومة "مصبيت نامه" يقول: "إسمي محمد، ولقد ختمت هذه الطريقة أيضًا مثل محمد ﷺ"⁴، أمّا لقبه فقد أثبتّه العطار نفسه في منظومته، فيقول: "يا فريد ما هذا الاضطراب منك في الروح..."⁵.

أما تاريخ ولادته، فليس هناك تاريخ محدد بين الباحثين فيذهب ناجي القيسي في بحثه عن العطار أنّ ولادته كانت ما بين سنتي 528 هـ / 536 هـ⁶، ويرى الأستاذ محمد بديع جمعة أنّ مولده كان بين سنتي 545 هـ و 550 هـ.

عاش العطار بنيسابور مسقط رأسه في أسرة عُرفت بالورع والثقى ورث عن والده مهنة العطارة، كانت والدته تُسمّى برباعة الثانية، بقيت تسعة وعشرين عامًا تلبس حقيّر الثياب وتقوم الليل دعاء وبكاء، وكان والده من مريدي الشيخ الصوفي قطب الدين حيدر⁷، عاش العطار حياته الأولى في نيسابور وشادياخ في أحضان أسرة جعلته كريمًا محبًا للعلم⁸، وقد وفّرت له بيئته الأسرية محبة الطريق الصوفي وأهله، وهو ما سجّله لنا العطار في ديوان الألم: "هو أنّ لي قلبًا لا يميل بعد كلام الله وحديث الرسول إلى غير كلام المشايخ، ولا أريد تعاظمي غيره، لأنّ كلماتهم مملوءة من ذكر الحبيب ونعوته وأوصافه، والإرشاد إليه والإخبار عنه والمحبة لا يريد سوى هذا"⁹، والمشايخ المشار إليهم هنا هم أهل التصوّف، فحديثهم في نظر العطار مثل شذى قميص يوسف التليّليّ، وفي تذكرة الأولياء يؤكد العطار على مشربه ونزعتة الصوفية في سياق حديثه عن دواعي تأليفه للتذكرة: "وكانت لجماعة من المحبّين رغبة

¹ فريد الدين العطار، منطق الطير، ترجمة: بديع محمد جمعة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2002، ص 09.

² إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، تعريب: إبراهيم أمين الشوراني، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، ط 01، 2004، ص 644.

³ المصدر نفسه، ص 163.

⁴ فريد الدين العطار، منظومة "مصبيت نامه" أو "كتاب الألم"، ترجمة: محمد محمد يونس، المجلس الأعلى للثقافة، ط 01، 2005، ج 02، ص 496.

⁵ المصدر نفسه، ج 02، ص 491. وانظر أيضًا: ص 494.

⁶ أحمد ناجي القيسي، عطار نامه أو فريد الدين العطار وكتابه منطق الطير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط 01، 1978، ص 82.

⁷ فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ترجمة: محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تح: محمد أديب الجابر، دار المكتبي، ط 01، 2009، ص 11 وما بعدها.

⁸ منظومة مصبيت نامه، مصدر سابق، ج 01، ص 49.

⁹ المصدر نفسه، ج 01، ص 23.

إلى ذكر أقوالهم وأفعالهم، وكان لي أيضًا ميلٌ شديدٌ إلى هذا المعنى¹، وعليه مما يُمكن تأكيده في حياة فريد الدين العطار اشتغاله بمهنة العطاراة والتأليف في ميدان التصوف في مدينته بنيسابور .

أما عن شيوخه الذين أخذ عنهم، فقد ذكر تأثره بشيوخ منهم مجد الدين البغدادي، وقطب الدين حيدر ونجم الدين كبرى، إلا أنه مجرد ظنٍّ وتخمين وهو أمرٌ مُختلف فيه أيضًا ولا يمكن الجزم بذلك .

أما عن السمات العامة لعصر فريد الدين العطار، فأبرز الأحداث في هذه المرحلة الحملات الصليبية وغزو المغول والتتار للعالم الإسلامي والذي كان من ثمراته سقوط الخلافة الإسلامية ببغداد سنة 656هـ في ظلّ هذه الظروف عاش فريد الدين العطار النيسابوري وتلخص لنا المستشرق الألمانية أنيماري شيمل الجوّ الذي ساد العالم الإسلامي خلال هذه الفترة: " في كُلِّ زاوية من زوايا العالم الإسلامي وُجدَ أولياء وشعراء وقادة صوفيّة كبار، قاذوا النَّاس في ظلام الكوارث السياسيّة والاقتصاديّة نحو عالمٍ لم يهدمه التّعير، كاشفين لهم سرّ العشق القاسي ومُعلّمين إياهم أنّ إرادة الله المجهولة وخُبّة يمكن أن يتجلّيا في الشدّة والابتلاء أكثر منه في السعادة والرخاء"².

2.1. آثاره:

خلف العطار تراثًا صوفيًا معتبرا ما بين منشور ومنظوم، والكتاب النثري الوحيد الذي تصح نسبته إليه فهو تذكرة الأولياء، وهو عبارة عن تراجم لأعلام التصوف، قاربت المائة ترجمة، ومن أطول التراجم فيها ترجمة الحسين بن منصور الحلاج (ت 309هـ) وترجمة أبي سعيد بن أبي الخير (ت 441هـ)، وقد أشرنا من قبل إلى أن دواعي تأليفها كان استجابة لرغبة بعض المحبين في تسجيل أقوال أهل التصوف. والملفت للانتباه في التذكرة أن العطار خصص ترجمة فيها لامرأة وحيدة من العابدات، وهي السيدة رابعة العدوية، وقد سئل العطار لم ذكرتها في صفّ الرجال وهي امرأة، فأجاب قائلا: " إن المرأة التي تسلك الطريق إلى الله كما يفعل الرجال، لا يُمكن أن تُسمّى امرأة ".³

أما عن الآثار النثرية مما يصحّ نسبتها إليه، فأبرزها: [منطق الطير - إلهي نامه - مصيبت نامه]، وهي المنظومات الثلاث التي ضمّنها العطار مديحه للنبي ﷺ، وهي ما سنستثمره في هذه الورقة البحثية .

2. المضامين الصوفية في مديح العطار للنبي ﷺ

تمهيد:

¹ تذكرة الأولياء، مصدر سابق، ص 20.

² الشمس المنتصرة، - دراسة آثار الشاعر الإسلامي الكبير جلال الدين الرومي -، آنا ماري شيمل، ترجمة: عيسى علي العاكوب، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط 01، 1431، ص 48.

³ تذكرة الأولياء، مصدر سابق، ص 849.

لا بد أن نُشير إلى خصيصة تميّز بها الأدب الفارسي عموماً وهو فن القصص في كلّ ما كتبه متصوفة فارس كسنائي الغزنوي أو العطار أو الرومي أو سعدي وحافظ الشيرازيين، وهذا الطابع له جذوره وامتداداته المعرفية، يؤكد ذلك التأثير والتواصل بين الشعراء أنفسهم كما حدث في اقتباسات الرومي من العطار أو يعود ذلك إلى التأثير بعمل الفردوسي في ملحمة الكبرى الشاهنامه، وهو ما ذكره عبد الوهاب عزام في تحقيقه وترجمته (ملحمة الفرس الكبرى) بقوله: "الفرس مُولعون بالإطناب في شعرهم، كلفون بالقصص والإسهاب فيه..."¹، وهذا الملمح يظهر بشكل جلي فيما تركه العطار من آثار، فجميع منظوماته الشعرية تزخر بالقصص إلى حدّ الإسهاب .

2.1. إشكالية الترجمة: لا بد أن نشير ابتداءً إلى مسألة في غاية الأهمية والدقّة، وهي كوننا نتعامل مع تراث العطار وشعره في ترجمته لا في نصه الأصلي، مما يُفقد النص بعده الجمالي والفني فاللغة الأصلية التي يُكتب بها النص تُكسب العبارة رونقاً وجمالاً والترجمة تعرية لجماليات النص ونزع لكثير من الخصائص الفنية فيه، وهو ما أشارت إليه السيدة الألمانية أنيماري شيمل (1922-2003) في كتابها حياقي الغرب شرقية: "فالكلمة الشعرية عبارة عن رداء ولا يُسمح للمرء مثلما يحدث بكل سهولة أن يحول الثياب الحريرية الغالية لأحد الأبيات الفارسية إلى صوف خشن أو إلى ميني جيب ضيق"². فانظر إلى دقة تصوير السيدة شيمل، وهي كناية عن تحويل الترجمة الثوب الجميل الواسع إلى لباس قصير ضيق، وهذا يعني الابتعاد عن الصورة الأصلية وهو أمر في غاية الدقة.

2.2. المحاور العامة في مديح النبي ﷺ

شغلت شخصية النبي ﷺ اهتمام الشعراء وأهملتهم أنواره وسيرته العطرة، فحاولوا أن يقدموا صورة تليق بمقامه ﷺ، والمطلع على المدائح النبوية في الأدب قديماً وحديثاً يجد محاورها تكاد تكون واحدة (-المقدمة الغزلية -المكانة-الخصائص-الدلائل-الشمائل-المعجزات)، وفي الشعر الصوفي الفارسي مع العطار، نجد نسقاً آخر في المديح مبني على: [توحيد الباري ومدحه - في خلق النبي ﷺ ونوره - مولده - مكانته ومنزلته - الإسراء والمعراج - في محبته والتوسّل به] مع الانفراد بالرمزية وإشباع النص بالدلائل والمضامين الروحية، لذا سنحاول في وقوفنا مع العطار أن نسير وفق منهج العطار مع التركيز على البعد الرمزي والصوفي في منظومات العطار الثلاث [منطق الطير-مصيّب نامه-إلهي نامه].

2.2.1. في توحيد الباري ومدحه

من عادة الشعراء في المديح البدء بمقدمة غزلية، كما هو الشأن في البردة للبوصيري وميمية أحمد شوقي ولامية كعب بن زهير وغيرها من القصائد الأخرى، لكننا نجد العطار يبدأ مديحه بتوحيد الباري وهذه البداية لها دلالتها الصوفية الرمزية، وإن كان

¹ الفردوسي أبو القاسم، الشاهنامه، ترجمة: عبد الوهاب عزام، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1932، ص 25.

² أنيماري شيمل، حياقي الغرب شرقية، ترجمة: عبد السلام حيدر، المشروع القومي للترجمة + المجلس الأعلى للثقافة، العدد: 01، ط 2004، ص 60.

ذكر الغزل والنساء في النص الصوفي ينصرف إلى الحق سبحانه ،وهو ما أومأ إليه الشيخ الأكبر ابن عربي في ديوانه الشعري ترجمان الأشواق :

كلما أذكره من طلل أو ربوع أو مغان كلما
وكذا إن قلت ها ،أو قلت يا وألا ،إن جاء فيه أو أما
أو بدور في خدور أفلت أو شمس أو نبات أنجما
فاصرف الخاطر عن ظاهرها واطلب الباطن حتى تعلم¹

ففي منطق الطير يفتح العطار المديح قائلا: " حمدا لله الطهور خالق الروح ،واهب حفنة التراب الإيمان والروح... " ² ، وهو الأمر نفسه في ديوان الألم : " الحمد الطاهر من الروح الطاهرة لذلك الطاهر الذي وهب حفنة تراب الخلافة " ³ ، وفي إلهي نامه: " باسم من يخلد ملكه ولا يزول ، ويخرص أمام وصفه نطق الفصيح ، اسمه مفرح لكتاب الأرواح وذكره يتصدر فهرس الدواوين ، فاضت حلق الأرواح بحلاوة ذكره ، وانتشرت اللائى على الألسنة بوصفه... " ⁴ .

بهذه المقدمات افتتح العطار منظوماته الثلاث ، وهذا الأمر له دلالة من الناحية الصوفية ، فإن كان الشعراء يفتتحون بذكر الحبوب والتغزل به فالعطار يفتح بذكر محبوبه الأزلي ومعشوقه السرمدي ، والإشارة إلى فوائح الجمال ولوائح الجلال ، وكأن العطار بهذه المقدمة يضع عينيه صوب الجمال المحمدي بينما قلبه معلق بمنبع الجمال والجلال وهو شكر ضمني ، فما كان للعطار أن يستمتع بجمال النبي ﷺ لولا هذا الكرم الإلهي ، وهذه لطيفة في غاية العمق والتوحيد ، أي وكأن العطار ينظر في المرأة الإلهية التي تعكس كل صفات الجمال الموجود في الكون بما فيه سيدنا محمد ﷺ : "... فيا خفيا فيما هو خفي ، ويا روح الروح ، ويا من أعظم من الجميع ، ومقدم على الكل ، إنها جميعا تُرى من خلالك ، كما تُرى أنت من خلال الجميع... " ⁵

ويُضفي العطار على الذات الإلهية كل صفات الجمال والكمال بما يليق بذاته فلطالما ردد المتصوفة ترانيم الرحمة الإلهية باعتبارها تاجا للحق ، فكتابة الصوفية عن الحق حُرِف بلسان العشق والمحبة لذا كانت رحمة الحق سارية في موجوداته : " لو أن جرم العاصي بمائل مائة عالم ، فإن ذرة واحدة من فضلك تمحوه ، ولأنه ليس لنا سوى التقصير في الطاعة ، فماذا تساوي حفنة وضیعة ، والآن وقد تداعت أعمالنا ، لا تتركنا يا إلهي لأنفسنا ... يا إلهي رحمتك بحر عام ، تكفيننا قطرة واحدة منه ، إن غسلت ذنوب الخلق

¹ ابن عربي ترجمان ، الأشواق ، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 2005 ، ص 25-26.

² منطق الطير ، مصدر سابق ، ص 139.

³ منظومة " مصيبت نامه ، مصدر سابق ، ج 01 ، ص 305.

⁴ فريد الدين العطار ، إلهي نامه ، ، ترجمة ودراسة: ملكة علي التركي ، آفاق للنشر والتوزيع ، ط 01 ، 2018 ، ص 207.

⁵ منطق الطير ، مصدر سابق ، ص 143.

الاثنين في ذلك البحر مرة واحدة، لن يتعكر ذلك البحر لحظة، بل سيعمّ الضياء الدنيا، فماذا يضير بحر الرحمة، إن قسمت قطرة واحدة منه على الخلق.¹

إن التركيز على الرحمة الإلهية في الخطاب الصوفي العرفاني تجسيداً لصورة مقدسة للإله الحق، هذه الصورة التي مسختها كثير من الخطابات المختلفة، فصوّر الله على أنه جبارٌ منتقمٌ شديد العقاب، وهو أسلوبٌ مطلوبٌ للترهيب، لكن أن يكون هو الصورة الوحيدة فهذا هو الجنوح والخطأ في جناب الله عزّ وجل، فجميع التصوص المختلفة التي تتحدث عن الذات الإلهية تعتبر آية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف/ 156 تاجاً لها، حتى إنّ الإنسان يحمل الجنة والنار بداخله أيضاً، فعندما نرحم بعضنا نصعد إلى السماء، وعندما نحسد ونعادي بعضنا فإننا نسقط في جهنم²، لذا فالمتصوفة أحسن من قدموا الجناب الإلهي بصورة لائقة مشعة تفيض بالحبّة وتقطر بالجمال والجلال، لذا استطاعوا أن يرفعوا الناس إلى حضرة الله عزوجل، لذا يرى الغزالي محمد أن المتصوفة — رغم بعض شطحاتهم هم من أثاروا هذا المبحث الجوّاني، فالفقهاء كتبوا المجلدات في غسل الأطراف، والمتكلمون عقدوا الفصول في الشؤون الإلهية، وعجزوا أن يرفعوا الناس إلى حضرة الله بأسلوب علمي محكم³، لذا استطاع النبي الكريم ﷺ أن يجعل أشد القلوب قساوة وصلابة تفيض بالنور والجمال، وقرّبهم إلى الحق ورفعهم إلى حضرته .

واستناد إلى مسلك الرحمة الإلهية يتجسد الأفق الاستيعابي للآخر الممي الذي أقصته الخطابات الأخرى، ولا غرابة أن نجد مولانا جلال الدين الرومي يشير إلى هذا الأمر في حديثه عن العالم باعتباره محفل للتجلي الإلهي: "وبرغم ذلك لا يمكن نفي العناية عن فرعون جملة، فربما تكون للحق تعالى به عناية خفية... لأنه لا بد للملك من القهر واللفظ والخلة والسجن الاثنين معا، وإن أهل القلوب لا ينفون عن فرعون العناية نفياً كلياً، أما أهل الظاهر فيعودونه مردوداً تاماً، وذلك مفيد من أجل قوام الظاهر"⁴، وهو ما يؤكد العطار أيضاً في تجلي الرحمة الإلهية على قلب فرعون حين أعتق الجوّاري اللائي جئن بتابوت موسى فرحا به⁵.

بهذا الوصف يُقدم العطار الحق إلى الخلق بصورة مترعة بالجمال فائضة بالرحمة والشفقة، ولعل هذا المسلك الذي ابتدأ به العطار مديحه مقدمة لما بعده وأمانة وتأكيد عليه، إذ لما كانت الرحمة تاجاً للحق كان كل ما يأتي من عالمه رحمة أيضاً وجمال وجلال، لذا فقول الحق سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء/ 107، هو تأكيد ضمني على جمال سيدنا محمد ﷺ وكونه وعاء للرحمة الإلهية والأسرار الربانية، ألم يكن النبي ﷺ يتألم لحال المشركين ويرفع يديه إلى السماء داعياً لهم بالرحمة واللفظ «اللهم إليك

¹ إلهي نامه، مصدر سابق، ص 208 .

² أنظر: إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون رواية عن جلال الدين الرومي، ترجمة: خالد الجبيلي، دار طوى للنشر والثقافة والإعلام، لندن، ط01، 2012، ص 269 بتصرف .

³ محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق، بدون تاريخ، ص 97.

⁴ جلال الدين الرومي، كتاب فيه ما فيه، تر: عيسى علي العاكوب، دار الفكر المعاصر، بيروت + دار الفكر دمشق، ط01، 2002، ص 253.

⁵ منظومة "مصيبات نامه مصدر سابق، ج 02، ص 87.

أشكو ضعف قوّتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين»¹، فانظر كيف استحضر النبي صفة الرحمة في مقام القوة والبطش والجبروت ،وهذا في غاية الدقة واللطفة والإنسانية .

والرحمة في نظر العطار نور: " الرحمة شمس مشرقة، ونورها يعمُّ جميع الكائنات، فانظر رحمة الله فقد عاتب نبيًا من أجل كافر"² ، ويدلّل على هذا المعنى بحكاياتٍ مختلفةٍ منها حكاية موسى وقارون، وكيف عاتب الحقُّ نبيّه في شأنه، فموسى اعترض على قارون لأنّه كان عاصيًا، وإن كان موسى نبيًّا فما حالنا نحن " ... وكلُّ من يعيب مرتكبي الذنوب والمعصية يجعل نفسه في مقدّمة خيل الجبابرة"³.

هذه النظرة بعين الرحمة إلى الخلق كانت خلقًا للأنبياء والكاملين، والنبي ﷺ خلقه هذا أحبه كلُّ أحدٍ حتّى الجماد حنّ إليه، ويطالعنا كتاب "أسرار التوحيد" بموقف أبي سعيد من العصاة والمجرمين، فقد كان يعقد مجلس وعظ في مiehنة⁴ وكان بجانبه سكارى علا صوتهم فذهب أصحابه وهدموا عليهم المنزل، وجواب أبي سعيد لهم أنّهم انشغلوا بالباطل لدرجة أنّهم لا يشعرون بما أنتم فيه من حقٍّ وأنتم بالرغم من رؤيتكم للحقّ فلم تنشغلوا به حتّى لا تشعرون بباطلهم، فكانت الثمرة توبتهم على يديه، كما كان اليهود والمسيحيّون يسلمون على يديه ويعظّمونه⁵.

ولما كانت رحمة الحقّ لا حدود لها كان التعبير عنها ووصفها في غاية العجز والنقص ،وهو ما يصرح به العطار : "لقد استمد كل شخص منك علامة، ولكني-يا عالم الأسرار- لم أجد لنفسني منك أي علامة، ومهما أمعن الفلك النظر بعيونه العديدة ،فما رأى ذرة تراب واحدة في طريقك ،وما رأت الأرض قط ذرة من ترابك، مهما بعثرت من تراب على رأسها لطفة عليك ،أما الشمس فطار عقلها شوقا إليك، كما أخذت تمسح التراب بأذنيها كل ليلة شوقا إليك ،والبدر يتناقص من جراء محبتك..."⁶، وفي ديوان الألم يقرّ العطار ويعترف بعجزه المطلق أمام الوصف : "...مهما أتحدث فلستَ ذلك الذي أتحدث عنه، ومهما أبحث فلستَ ذلك

¹ أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير ، دمشق ، ط 02، 1425هـ، ص 215-216.

² أنظر: منطق الطير، مصدر سابق، ص 220. و هذا إشارة إلى قصّة موسى مع قارون التي ساقها العطار بعد كلامه.

³ أنظر: المصدر نفسه، ص 220.

⁴ بالفتح ثم السكون، وفتح الهاء والنون، من قرى خابران وهي ناحية بين أبيورد وسرخس، قد نسب إليها جماعة من أهل العلم والتصوف، منهم أبو سعيد أسعد بن أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، ط 02، 1995 ج 05 ، 247.

⁵ أنظر: محمّد بن المنقّر، أسرار التوحيد أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد، ، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، الدار المصرية

للتأليف والترجمة، بدون تاريخ، ص 248 بتصرّف.

⁶ منطق الطير، مصدر سابق، ص 144.

الذي أبحث عنه، فإذا كنت لا أعرف ففيم حديثي عنك؟ وإذا كنت لا أضفر بشيء ففيم بحثي عنك؟...¹ "وفي إلهي نام: " ما أقبح العزلة التي أحاطت بالعديد من النساء والرجال الذين اجتهدوا ولم يروا أثرا من طريقه!...² "

مدح العطار للذات الإلهية، جاء طويلا جدا، ففي إلهي نام 112 بيتا، وفي منطق الطير 198 بيتا، وفي إلهي نامه أبيات طوال في مدح الله تعالى وحديث العطار حديث عاشق لا عالم لذا جاء حديثه مفعما وعميقا جدا، وأظن أن العطار بهذا المديح كان يُثني ثناء ضمينا على مبعث سيد البشر، ولما كان اللسان عاجزا عن وصف المحبوب كان أعجز عن وصف الحبيب، ومدح المعشوق مدح للعاشق، وهذا ما أشار إليه مولانا جلال الدين الرومي بقوله: "... كل ما يمتلكه الأولون والآخرون إنما يمتلكونه بوصفه انعكاسا له وهم ظله، وبرغم أن ظل الإنسان يدخل البيت قبله، فإن الإنسان على الحقيقة هو الذي يسبق... وهكذا يغدو معلوما أن الأصل إنما كان محمدا لولاك ما خلقت الأفلاك"³.

2.2.2. في الوجود النوراني للنبي ﷺ :

يعول المتصوفة كثيرا على الأحاديث التي تُعلي من مكانة سيدنا محمد ﷺ، والتأكيد على نورانيته التي خلق الله منها الأكوان، منها حديث ميسرة في سؤاله النبي ﷺ عن زمن نبوته فأجابه قائلا: «وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»⁴، وحديث لولاك «لولاك ما خلقت خلقت الأفلاك»⁵، وحديث جبريل حين قال: «يا محمد! لولاك ما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار»⁶، وحديث النبي مع جابر «يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك»⁷

يؤكد العطار على نورانية سيدنا محمد ﷺ في منظوماته الشعرية، يقول في منطق الطير: "استمد العالمان اسميهما من وجوده، ووجد العرش راحته من اسمه، وتم خلق كل شيء كقطرات ندى من بحر جوده، كما ظهر العالمان إلى الوجود من طفيله. نوره مقصد جميع المخلوقات، وهو أصل الموجودات والمعدومات، وما إن خلق الحق نوره المطلق، حتى خلق من نوره مائة بحر من نور، ومن أجله خلق الروح الطاهرة، ومن أجله خلق الدنيا، ولم يكن لخلقه من مقصود سواه..."⁸

¹ منظومة "مصبيت نامه"، مصدر سابق ج 01، ص 317.

² إلهي نامه، مصدر سابق، ص 210.

³ فيه ما فيه، مرجع سابق، ص 162. وسيأتي الحديث على نص هذا الحديث لاحقا.

⁴ أخرجه أحمد في مسنده عن ميسرة، رقم: 20596.

⁵ قال الصاغاني موضوع، وأقول لكن معناه صحيح وإن لم يكن حديثا، أنظر: العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، بدون تاريخ، ج 02، ص 164.

⁶ أخرجه الديلمي عن ابن عمر. أنظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مرجع سابق، ص 54.

⁷ رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله. أنظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مرجع سابق، ص 265.

⁸ منطق الطير، مصدر سابق، ص 156-157.

ونجد هذا المعنى أيضا في ديوان الألم: "... فهو نقطة الكونين وبداية ظهورهما، وهو قدوة الثقلين وأعجوبتهما، ذلك لأنه في الصورة بمعنى العالم ومن خلقه يكون الخلق كل لحظة، الجنات الثماني جرعة من كأسه، كلا العالمين من ميمي اسمه، ليس للعالم نصيب إلا ميم واحدة ثم جاء لمحمد ميمان من الاسم، لا جرم فالعالم الاول من ميمه الأولى وذلك العالم الثاني من ميمه الأخرى.¹" وفي إلهي نامه: "محمد مصباح المعرفة وشمع النبوة سراج الأمة ومنهاج الملة، قائد ميدان الشريعة، وأمير جيش السيرة العطرة، ملك العالم وفخر لولاك..."².

هذه النصوص الشعرية تؤكد المنحى العام عند أرباب التصوف الذين ينظرون إلى النبي ﷺ نظرة نورانية، فالخلق بأسره متوقف على وجوده، وهذا المعنى صحيح بالنظر إلى مقام سيدنا محمد ﷺ وخصايصة الختمية التي يتمتع بها، فكم كان هذا الكون يكون موحشا ومظلما لولا بعثة النبي الأُمِّي ﷺ، وأي اضطراب كانت ستعانيه البشرية لولا حلوله ومقدمه، لذا نجد العطار يصرح بالعجز المطلق عن وصف الجناح الأحدي: "وإن كان لإنسان أن يتكلم فهو أنت، وإن تقل كيف رحلت عن هذه الدنيا، وكيف عدت، لحلت مشكلاتنا واحدة واحدة، وما بقي في قلوبنا أدنى رية..."³.

وهذه النورانية أيضا يشير إليها مولانا جلال الدين الرومي: "لقد كنت مثلكم مظلم الطبيعة، ولكن وحي الشمس منحني هذا النور، إنني مظلم بالقياس إلى الشمس، لكن لدي نور من أجل ظلمات النفوس"⁴.

إن نورانية محمد ﷺ وخلق الله الأكوان لأجله، صحيح من حيث المعنى ومتناسب مع مقامه ومكانته، وهذا المعنى يؤكدده الشيخ الأكبر ابن عربي في الفص المحمدي: "ولهذا بدىء به الأمر وختم فكان نبيا وآدم بين الماء والطين ثم كان بنشأته العنصرية خاتم النبيين"⁵، والمعنى أن ابتداء أمر الوجود كان متوقفا على إيجاد روحه، وهو الذي ظهر بالصورة الآدمية في المبدئية (المعنى)، وهو الذي يظهر بالصورة الخاتمية للنوع (البشرية)⁶.

وهذه الحقيقة أشار إليها صاحب البردة بتعبير موجز بسيط في قوله:

فهو الذي تمّ معناه وصورته ثم اصطفاه حببيا بارئ النسم⁷

ويقدم لنا ابن عجيبة معنى لطيفا في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الزخرف/ 87، "قل يا محمد: إن كان للرحمن ولد، على زعمكم في عيسى والملائكة، فأنا أولى بهذه النسبة على تقدير صحتها لأنني أنا أول من عبد الله في

¹ منظومة مصيبت نامه، مصدر سابق، ج 01، ص 329-330.

² إلهي نامه، مصدر سابق، ص 211.

³ منطق الطير، مصدر سابق ص 161.

⁴ جلال الدين الرومي، المتنوي، ترجمة: محمد عبد السلام كفافي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 01، 1966، مج 01، ص 413.

⁵ قيصري، شرح فصوص الحكم، تحقيق: حسن زاده الأملي، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، تهران، ط 01، 1426هـ، ج 02، ص 1328.

⁶ أنظر: شرح قيصري على الفصوص، المرجع نفسه، ج 02، ص 1328.

⁷ البوصيري، قصيدة البردة، طبعة الزاوية التيجانية، تماسين، 1434هـ، ص 13.

سابق الوجود لأن أول ما ظهر نوري، فعبد الله سنين متطاولة ثم تفرّعت منه الكائنات، ومن سبق إلى الطاعة كان أولى بالتقريب، فلم خصصتم الملائكة وعيسى بهذه النسبة، وأنا قد سبقتهم في العبادة، بل لا وجود لهم إلا من نوري، لكن لا ولد له، فأنا عبد الله ورسوله " ¹.

ويستدل العطار بنورانية سيدنا محمد ﷺ على عموم رسالته للعالمين، فلما كانت رسالته عامة كانت الهداية كذلك، يقول العطار: "ولما كان نوره أصل الموجودات، ولما كانت ذاته مانحة كل ذات، وجب أن تكون دعوته لكل العالمين، ولكل المخلوقات في الخفاء والعيان، فأقبل عليه الجميع، كما أقبلت عليه أمته، فكانوا جميعاً قاطفي ثمار همته..." ².

فعموم رسالته تأكيد على عموم الظلمة التي غشيت الكون مما يستلزم نوراً يبددها لعموم رحمة الله وحكمته، ومن هذا المنطلق كان مبعث الخاتم نوراً على وجه الحقيقة، وهو ما يؤكد قوله تعالى ﴿الرَّكَابُ أَتَرْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم / 01. ولما كان المقصد من النبوة هداية الحيارى في دياجير الظلم كانت الوسيلة الاقتباس من أنوار الحق ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور/35.

وحقيقة النور: ما تنكشف به الأشياء على ما هي عليه، حسية أو معنوية، والمراد هنا المعنوية، وهذا ما يتناسب مع ختمية النبي ﷺ الذي ختم الله به عالم المعنى فقد استطاع أن يفتح مغاليق الكون ويجيب عن التساؤلات كلها التي أرهقت العقل على مدار الزمان. وفي هذا المعنى يقول العطار: "انتهت مشاكل الخلق بفكره لأن فكره ممتد في الأزل، ظهر من الأزل حتى يمكن للأرواح المضطربة أن ترتوي من بحر شرعه كل لحظة، كان متقدماً على جميع الأنبياء، ختم الأنبياء ووجد قبلهم، حينما رفع آدم بصره لأول مرة رأى اسم محمد مكتوباً فوق العرش" ³، ونجد هذا المعنى أيضاً في ديوان الألم: "هو البلسم الشافي لكل القلوب، هو المصرف لكل المشكلات، حيثما شقّ أرض المشكلات، طلع منها شمس الكائنات، وحينما شقّ الأرض نصفين في البداية تسنى له حل المشكلات الخفية" ⁴.

ويقدم لنا القشيري معنى لطيفاً في تفسير هذه الآية الأخيرة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي هادى أهل السماوات والأرض، ومنه نورهما. والذي منه الشيء يسمى باسمه الشيء ⁵.

¹ ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية 1423 هـ - 2002 م، ج 05، ص 274.

² منطق الطير، مصدر سابق، ص 158.

³ إلهي نامه، مصدر سابق، ص 212.

⁴ منظومة "مصيبت نامه"، مصدر سابق، ج 01، ص 330-331.

⁵ القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 03، بدون تاريخ، ج 02، ص 611.

يتضح مما سبق أن وجود النبي ﷺ في عالم المعنى وعالم ألسن بركم كان سابقا لوجود صورته الآدمية البشرية، ومما يؤيده بشارة الأنبياء بمقدمه، بل كانت الرسائل السماوية تحمل في رحمتها رسالته، بل إن سلسلة نسبه ﷺ وبيضة نوره كانت تنتقل بين الأصلاب والأرحام الطاهرة كما تُنقل الشعلة المقدسة من مكان لآخر لتضيء العالم وتمنحه الدفء .

2.2.3. في صفات النبي ﷺ وشمائله :

لو بحثنا عن نص جامع ومدح وافٍ لسيد البشر ﷺ لكان قول الحق في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ لقلم/04 أوفى مدح وأصدق، قال القشيري: " كما عرّفه الله سبحانه أخبار من قبله من الأنبياء عرّفه أنه اجتمعت فيه متفرقات أخلاقهم ".¹ وقال الجنيد: " سُمي خلقه عظيماً؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله عز وجل "²، وهذا المعنى اللطيف هو الذي جعله العطار محورا في مدحه للنبي ﷺ وحديث العطار عن سيدنا محمد ﷺ حديث عشق لا حديث رواية وأخبار لذا جاءت كلماته مُترعة بالأسرار ومدحه للنبي ﷺ ماحي للأوزار ومُزيل للغبار، يقول في شأن قدومه للعالم: "عندما ولد ذلك الصدر العالي، خرج إلى الحياة ساجدا، خرج إلى الحياة مقطوع السرة، كما ولد من أمه مختونا، لو وجد وسط خلق العالم، لفاق الجميع طولاً، لم ير شخص قط ما يخرج منه، كانت الأرض تبتلعها مثل العنبر، لم تقف عليه أبدا ذبابة من الأمام أو من الخلف أيضاً، لأن ظلاله انعكست على الأفلاك، فكيف يقع ظل له في الأرض؟ لأن ظله اقترب من العرش، فكيف يستقر على الأرض ".³

إن حضور النبي ﷺ في النص الصوفي حضور للأسرار والأنوار الربانية، وهذه هي المفارقة العميقة في وصف النبي ﷺ التي انفرد بها أهل التصوف لذا كانوا بحق وارثين لأحواله وأنواره، "... إن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنيهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به ".⁴

ويتحدث العطار عن الأسرار النبوية قائلا في وصفه: "... هو في عمل من البداية حتى النهاية، وغارق في الأسرار من إخضه إلى مفرقه، ففي بدايته زميني يا خديجة، وفي نهايته كلميني يا حميراء، حينما زاد النبوة جمالا، جعلت روحه الماضي حالا في المستقبل، كفى لأمر جسمه دق عظمي وتنفس روحه منه اشتد شوقي أحضرت الشمس طستا وماء الكوثر بسبب فتح في صدره وغسلت روحه الطاهرة حتى الأبد بماء الحياة من جميلة الكون والكائنات، وما إن ابتعد الطست عن صدره حتى امتلأت الحجر بالنور من صورته، حينما صار الهلال نعلًا لبراقه صار بدرا كاملا في بداية كل شهر، الشمس على بساطه رغيف خبز ".⁵

¹ لطائف الإشارات، مرجع سابق، ج 03، ص 617.

² البحر المديد، مرجع سابق، ج 07، ص 106.

³ إلهي نامه، مصدر سابق، ص 216.

⁴ أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، قدم له: علي ملحم، دار ومكتبة الهلال، ط 1، 1993، ص 05.

⁵ منظومة مصيبت نامه، مصدر سابق، ص 331-332.

ويواصل العطار مديحه للنبي ﷺ مُبرزاً مكانته بين الأنبياء: " هو قد ضارِع يوسف الصديق جمالا وضرب خيمة حسنه قبالته وملاً حلق داوود بالاضطراب من حسن صوته وأدهش الخلق بصوته، وضرب على كف موسى وأظهر اليد البيضاء جليلة لكل العالم، وألقى ظله حينذاك على نفس عيسى فألقى الاضطراب بسببه في أرجاء العالم"¹.

وفي منطق الطير يجعل العطار الكون كله متحركاً عشقا وشوقاً لأحمد ﷺ: " وهو على الدوام الملك، والكل خيله وحشمه، وحينما جاء القسم تاجا يعلو مفرقه، سارع الخلق بالمثل أمام بابه، وما إن امتلأت الدنيا برائحة شعره المسكية، حتى أصبح البحر من العطش صادي الشفة، ومن ذا الذي لا يتعطش لرؤيته، وقد شغفت به الحجارة والخشب؟ وما ان صعدت روح بحر النور، حتى ترددت أنات الحنانة بعيدا بعيدا، وغصت السماء المرفوعة بلا عمد بالنور، وغرق هذا العمود في الحزن لفراق الرسول"²، وحزن العمود هنا إشارة إلى حنين الجذع إليه ﷺ كما هو ثابت في الصحيح .

وفي إلهي نامه يصور لنا العطار أخلاق النبي ﷺ وشمائله باعتباره محورا استيعابيا وصدرا يسع الجميع: "... لم يفعل أمرا لا يمليه عليه الدين، ولم تر عين تقطيعه لجبينه، كان يسوده الرضا دون الغضب... ولأن تجدد جديلته صار حلقات حلقات، فقد نتج عنه اثنتان وسبعون فرقة، عندما ظهرت حلقاته المجددة، ظهرت السبعون هذه من تلك الحلقات الستين، وأخذ كل قوم في المجاهدة طويلا، للتشبث بحلقة منها، لم تستطع يد أن تحوز الخلود الأبدي إلا يده، لأن تلك اليد قد استمسكت بالعروة الوثقى، لم يفن أحد عن نفسه في حضرة العزة المؤبدة إلا محمد"³.

بل نجد العطار يسمو بالمقام الأحمدى ويجعل مقدم النبي ﷺ سببا لمعجزة المسيح ﷺ وولادته من غير أب: " عندما فني عن نفسه كلية، أصبح الجميع ينتظرون الشفاعة هناك إلا هو، وهو الصبح الأحمدى لروح الله (عيسى) عندما بشر روح الله (عيسى) بالمختار ظهر في لحظة واحدة بلا أب"⁴.

هذه هي بعض الصفات النورانية لسيدنا محمد ﷺ، والعطار يوظف نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الواردة في شأنه ﷺ ليمزجها بحرارة عشقه وصدقه ومحبته للنبي ﷺ، وهذه الحرارة والعشق مطلب روحي للحديث عن سيد البشر ﷺ وتقديم سيرته العطرة، وهو ما تفتقده الكتابات التاريخية التي اشتغلت على سيرة المصطفى ﷺ، وبرغم تلك الجهود المباركة والنورانية، إلا أنها تفتقر إلى بكاء وحنين وألم في عرض صورة سيد الورى ﷺ، فليس النبي ﷺ منقادا فقط بل هو الذي استطاع أن يرفع الناس إلى حضرة الله ويُنهي خصام الإنسان مع نفسه ويمنحه مفاتيح قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات/20-21.

¹ منظومة مصيبت نامه، مصدر سابق، ص 331-332.

² منطق الطير، مصدر سابق، ص 161-162.

³ إلهي نامه، مصدر سابق، ص 213-214.

⁴ إلهي نامه، مصدر السابق، ص 213-214.

ويتجلى من خلال مديح العطار الأفق الاستيعابي من خلال تناوله لحديث الافتراق «افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى كذلك، وتفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة»¹، وقد اتخذ البعض هذا الحديث عمدة في تكريس الإقصاء، وشكلت العبارة الأخيرة فيه جدلاً كبيراً «كلهم في النار إلا واحدة» إذ رأت مختلف الفرق أنها المقصودة بالفرقة الناجية، لذا نجد بعض التخریجات والقراءات الاستيعابية لهذا الحديث فالشعراني في الميزان يقول: «كلها في الجنة إلا الزنادقة»، وهو المعنى الذي يميل إليه العطار من خلال النص السابق، "تجدد جديلتها صار حلقات حلقات، فقد نتج عنه اثنتان وسبعون فرقة"، فما الفرق في آخر أمرها إلا فهوم وقراءات لما أخبر به الصادق المصدوق، وهو المعنى الذي عبر عنه صاحب البردة البوصيري:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرfa من البحر أو رشفا من الدسم
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم²

4.2.2. في معراج النبي ﷺ

يُعتبر المعراج الأحمدى من أكبر معجزات سيدنا محمد ﷺ، وقد ذكر الإسراء مفصلاً عن المعراج، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء/01، وقد أشاد القرآن الكريم بذكر المعراج:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَخْشَى السُّدْرَةَ مَا يَخْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ النجم/ من 08 إلى 18.

لذا نجد حضوراً كبيراً للمعراج في التراث الصوفي، فهو الرحلة العمودية من الفرش إلى العرش، لذا حاول المتصوفة أن يرسموا طريق التصوف محاكاة للمعراج النبوي، فهو يمثل: "...وثيقة فكرية أدبية تصور لنا آراء المسلمين وتصوراتهم فيما وراء الطبيعة كما تزودنا بأنماط من وجهات النظر والتفكير في صلة الإنسان بالله والإنسان بالإنسان والإنسان بالكون وتلقي أضواء كاشفة على المعتقدات والأنظمة الروحية والاجتماعية وخاصة في التصوف."³

وقد وظّف العطار قصة المعراج في منظوماته خصوصاً منطق الطير ومصيبت نامه، اللذين يُعتبران معراجاً روحياً للسالك في خط تصاعدي إلى الأعلى، بينما في إلهي نامه فهو بمثابة الإسراء الأرضي ورحلة للسالك في آفاق النفس والكون، ففي ديوان الألم يصور لنا العطار هبوط جبريل إلى النبي ﷺ يخبره بأن مئات من الأرواح في انتظاره من الملائكة والأنبياء: "وما إن سمع المصطفى هذا

¹ رواه الشعراني في الميزان من حديث ابن النجار وصححه الحاكم بلفظ غريب. أنظر: كشف الخفا، مرجع سابق، ص 169.

² قصيدة البردة، مرجع سابق، ص 12-13.

³ نذير العظمة، المعراج والرمز الصوفي، دار الباحث، سوريا، بدون تاريخ، ص 39.

القول حتى هاجت روحه مثل البحر وانطلق من وثاق أم هانئ حاملا معه على البراق أم الكتاب شوقا، وهكذا أطلق العنان صوب السماء حتى تجاوز الزمان والمكان، وجاءه العالمان كلاهما متشفعين، وطوى له كلا العالمين بطبقاته المتعددة، وهو في ذلك المعراج لا ينظر إلى مكان، لأن الملك يعلم من هو، فلا جرم أن رأسه كانت حادة كالإبرة، وكانت عينه إلى أسفل كالإبرة، لم يرفع عينه عن قدمه مثل الإبرة، ولم يبق للإبرة رأس أو مكان قط...¹.

فتأمل وصف العطار وتمثيله الدقيق لسيد البشر ﷺ في رحلته فإن كانت الإبرة حادة ولها عين واحدة فكذلك حال المصطفى ﷺ كانت عين قلبه مصوبة نحو الحق سبحانه وعين بصره على قدمه تواضعا وهيبة وخشوعا، وفي إلهي نامه يصور العطار معراج المصطفى ولقائه بالأنبياء في أسلوب رمزي أخاذ: "كان عبوره على المسيح وهو في شيخوخته مثل يوسف فجعله في شباب زليخا، وتقدم سليمان وتخلّى عن الإكليل ووضع السلة لتلقي الصدقات، وانطلق الكليم طمعا في أن يكون من أمته، وأحضر الخليل ما عنده حتى يضحي بولده أمامه، وعاد نوح من السفينة وتحققت له العظمة بوجوده، ودخل آدم فطرب، وأحضر الرضوان الشراب، وسأله عن طريقه الطويل، وإذا ما كانت حرارة العشق قد أنهكته، أما شمس الفلك فكانت لجام براقه، والشمس الذهبية مقبض سرجه، وبراقه يخطو فوق الأفلاك والهلال نعل براقه، وتوجهت الحور صوبه، وأثار الليل المظلم بنور وجهه، وعندما أمدّ الذنب (المعصية والجرم) رأسه أمامه سحب ذيله كالعقرب رهبة منه وكنس الفلك له الطريق، وجاء الميزان وقيد يديه وخفض القوس وتره أمامه، ودخل كل ملك بمجمر خاص ليحرق بخور عشقه بإخلاص، وفتح الرضوان ثمانية أبواب من الخلد، عندما علم نوح قدر تراب قدمه صنع لوحا من الطين للسجود عليه مثل الشيعة، وظهر أمام القمر مثل يوسف فقطع القمر يديه والبرتقال...².

فتأمل هذه اللغة الدافقة المترعة بالعشق والمحبة لسيد الورى ﷺ، وقد أبدع العطار إلى حد بعيد واستعان بخياله في رسم صورة عرفانية عميقة لحبيب الحق، فجميع الأنبياء أسرى جماله، وسليمان الملك أصبح فقيرا في طريقه يطلب الصدقات، والخليل كان همه بذبح ابنه تقديم قربان للحق بمقدم سيدنا محمد ﷺ، والأفلاك كانت ذهبا مرصعا على سرج براقه حتى الشمس الذهبية فداء للحبيب أضحت مقبضا لسرجه، والملائكة تحرق بخور العشق في إيوان الحق.

وفي منطق الطير يسيح العطار بخياله الواسع وهو يحدثنا عن معراج النبي وسماعه لصوت نعلي بلال: "...أما في المعراج فكان الرسول شمع ذي الجلال يسمع صوت نعلي بلال³، وعلى الرغم من أن موسى ملك وسلطان، فما سلك الطريق هناك وفي يديه النعلان⁴، فانظر أي عناية حظي بها تابعه في بلاط الحق وذلك إكراما له، حيث جعل تابعه خليقا بمحاربه، وسمح له بسلوك

¹ من روائع الشعر الفارسي الصوفي - منظومة "مصبيت نامه"، مصدر سابق، ج 01، ص 334-335.

² انظر: إلهي نامه، ص 216 وما بعدها. وقد اختصرنا النص نظرا لطوله وركزنا على ما يُبرز خيال العطار وسحر بيانه.

³ إشارة إلى الحديث الصحيح: «عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَا بَلَّالُ حَدِّثْنِي بِأَرْحِي عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ ذَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»، أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الجمعة، باب فَضْلِ الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَفَضْلِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْوُضُوءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، رقم: 1149.

⁴ إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ طه / 12.

الطريق مرتديا نعليه، فما أن رأى موسى العمراني تلك المنزلة، وما لتابعه من قربة، حتى قال: إلهي لتجعلني من أمته، واجعلي تابعا لهمة...¹.

فتأمل هذه المكانة التي حظي بها سيدنا محمد ﷺ بين الأنبياء، فحتى موسى الكليم عليه السلام أضحي يأمل أن يكون من أمته، وأي شرف أكبر من أن تُقدم أمته على الأمم، إن هذا الوصف بعث للهمة وإيقاظ للقلوب من نوم الغفلة لتدرك أي كنز حباها الله به بمبعث النبي الأمي ﷺ، وإلى هذا المعنى يشير البوصيري:

لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم²

ويرسم لنا العطار صورة عرفانية أخرى لمكانة النبي ﷺ بين الملائكة والأنبياء: " فعندما أبصر جبريل كان كل عمله التردد في طريقك، وميكائيل أصبح أجيرا لجند جيشك، وتحلى عزرائيل بالشجاعة عند رؤيتك فأصبح مستعدا بسيفه، وإسرافيل أضحي حارسا لأعتابك، والملائكة حُجَّاب على بابك، وآدم الطاعن في السن كاتباً لبلاطك، وإدريس أضحي مُنَجِّماً يبشر بالجنة، وصالح أضحي جمّالاً لك بروحه وضيّفتك بلبن ناقتة، وإسماعيل عندما سمع بك صبر على أمر الله، واشتاق يعقوب الحزين وجلس في الخلوة على أمل رائحة منك، ونحنا يوسف من السجن والبئر لنبعث عن جمالك، ونثر الخضر الماء على مخلّتك، وتعلّم إلياس التضحية منك، وأيوب عندما رآك طبيبا لعشقه تغلّب على مرضه، ووقف سليمان خادما لك، وصار هارون حاجبا على بابك، وأصبح موسى ممسكا بالعصى على دربك..."³.

هذه هي صورة المصطفى في شعر العطار الصوفي، وهو يصبغ مختلف الصور بالخيال الخلاق مع عشق لأعتاب المصطفى ﷺ، وهي صورة عرفانية أخاذة متجاوزة لحدود النص والعبارة، لأن الممدوح وضع قدمه على العرش ووصل إلى مقام قاب قوسين التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ النجم/09. ويقدم لنا العطار أيضا تصورا رمزيا مختلفا عن التفسير الظاهري للآية في كتابه إلهي نام، وملخص رأيه: " أن النبي يشبه السهم في صفتين، الأولى: في استقامة الوقوف، والثانية: في سيره لأنه كان يشبه السهم بهتين الصفتين، فعندما انطلق صوب الحق كان مثل سهم أطلق من قوس، وفي النهاية عندما أعيد إلى قومه كان مثل سهم صوب من قوس، ولأن هاتين الرحلتين انطلقتا من القوس شبه بقاب قوسين، ولأن للقوس بيتان دائما فهما خالدان، الأول بيت الأحذية إن كنت تعرفه، والثاني بيت أحمد الخالد، عندما أسرع السهم بجذبة من الحق، اختفت الميم من أحمد مثل شعرة، وانمحت ميم أحمد من المنتصف، وصارت أحدا، وصار الاثنان واحدا "⁴.

¹ منطق الطير، مصدر سابق، ص 160-161.

² قصيدة البردة، مرجع سابق، ص 27.

³ إلهي نام، مصدر سابق، ص 220-221.

⁴ إلهي نام، مصدر سابق، ص 219.

هذه هي الغاية من المعراج وهي بلوغ المنتهى بالفناء في الحق فناء كلياً، فالعطار يرى أن ميم أحمد اختفت وصارت أحداً، كيف لا وهو ما يؤكد النص القرآني في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ النجم/17.

5.2.2. في التوسل بالنبي ﷺ

جرت عادة الشعراء في المديح أن يتخلصوا بالتشفع والتوسل بالجناب الأحمدي بإظهار العجز والضعف، والعطار أبدع بإظهار عجزه وضعفه متوسلاً بالنبي الكريم ﷺ، ففي ديوان الألم يختم العطار مديحه قائلاً: "...يا من الأرض والسماء تراب بابك، العرش والكرسي قاطفا ثمار جوهرك، لا جرى على لساني غير ثنائك، ولا كان لروحي نقد سوى وفائك، أنا لست باللائق لوصف ذاتك، وهذا القدر الذي تيسر من بركاتك، أنا لا أدعي أنني لك حسان، أنا تراب كلب لديك، إذا لم ترغب بالنظر إلينا سنظل نقول حتى الأبد أين المفر." ¹

فالعطار هنا يصرح بالعجز عن الإحاطة بوصف مقام النبوة ويرى نفسه تراب كلب في محلته، وليس هذا حطة ووضاعة، فالكلب أدركه الشرف بصحبته الفتية ولو صاحب هذا الكلب محمداً لأضحى أسداً، وفي منطق الطير يتوجه العطار إلى النبي متوسلاً: "أنت المعين للضعفاء في كل لحظة، فلتشملي بنظرة أنا المهموم، ولتصرف أموري أنا المغموم، وإن كنت أضعت عمري في المعصية فإنني الآن قد تبت، فاسأل الحق لي المَعْدرة، إني أقضي ليلي ونهاري مهموماً حتى تكون شفيعي، فإذا جاءت من قبلك الشفاعة دُمغت المعصية بخاتم الطاعة، فلتلطف بنا ولتشعل شمع شفاعتك حتى أتقدم كالفراشة أمام شمعك، وعلى بابك أبذل روحي وأثر جواهر كلامي، يا صاحب القدر الرفيع هذه حاجتي فهلاً تفضلت عليّ بنظرة، فإنْ غُدمنا هذا النظرة سنظل إلى الأبد في حيرة، فلتنقذني يا طاهر الذات من هذا التفكير والشرك والترهات ولا تجعل السواد من الذنوب يجلل وجهي بحق المشاركة في الاسم" ².

فتأمل كيف تتحول المعصية إلى طاعة بمحبة وعشق النبي ﷺ، وانظر إلى توظيف العطار حكاية الشمعة والفراشة في الأدب الصوفي وهي رمزية على العشق والمحبة والفناء والاحتراق، فالعطار صار فراشة تحوم على شفاعته النبي الكريم ﷺ، وانظر إلى العطار كيف يتوجه إلى الجناب النبوي فرحاً بمشاركته الاسم للنبي محمد ﷺ، وهو ما أشرنا إليه سابقاً في ترجمة العطار.

وفي إلهي نامه يُدع العطار إلى حدّ الإعجاز في التوسل ومناجاة الذات الأحمدية: "ماذا أقول ان اعتبرت العالم كله لعبة فاقبل مدحي لأعتابك، لا أعلم كيف يتأتى ثناؤك وإن قيل هل تقبله، أنا أعلم أنه لم يقل أحد مثل هذا المديح، هذه الأشعار عروس وجودك ظلّها وقبولك زينتها وحليتها إن قبلتها مني يرتفع شأني، وإلا زهقت روحي الحزينة، إن تقبل هذا الكلام أجدد الفلك العتيق بصنعتي، ماذا أقول يا رسول الله لقد تحدثت بهذا القدر أنت كريم مطلق وتعلم أيضاً أنك تستطيع منحي مائة خلعة... أنت تعلم أن العطار في وصفك يهيم حول نفسه كالفرجار، فلا تردني يائسا وخذ بيدي لأني عاجز، فشرف جسد العطار

¹ منظومة "مصبيت نامه"، مصدر سابق، ج 01، ص 341.

² منطق الطير، ص 162-163. وقد تصرفنا في النص لطوله.

بلحظة، لأنه لم يعد يشعر حتى بشيابه وزين قلبه بالتوحيد، ولأنك سيد العالمين فمن الجائز أن تُقطر على شفتي بعض الماء، إن صدري منقبض في هذه الحرارة والاحتراق فأحيي كبدي بقطرة ماء ."¹

فتأمل معي قول العطار أن أحدا لم يستطع مدح النبي ﷺ مثل مديحه، وأظن أنه أصاب في قوله، فالمطلع على كتابات السيرة النبوية يلحظ الاتجاه التاريخي في الكتابة، لكن أحاديث التصوف لها لسان آخر لأنها تنبع من قلب مُترع بالحب والعشق، فليس وراء وصف العطار وصف آخر وليس فوق مديحه مديح يُمكن أن يجاريه، كيف لا ودخان العشق يتصاعد كل لحظة من كلماته، والبخور الأحمدى في جنبات هذا المديح وعرضاته .

خاتمة:

بعد هذه الوقفة مع مديح العطار للنبي ﷺ، وإبراز بعض الجوانب الروحية والرمزية نخلص إلى مجموعة من النتائج:

- 1- ازدهار التصوف الإسلامي خلال القرن 06+07هـ، فقد بلغ ذروته والدليل على ذلك وجود متصوفة كبار أمثال العطار سعدي وحافظ الشيرازيين مولانا جلال الدين الرومي والشيخ الأكبر ابن عربي.
- 2- اقتراب النص الصوفي من النص الأدبي -خصوصا إنتاج متصوفة فارس-، وهو ما يؤكد التراث المنظوم لمتصوفة فارس .
- 3- تأثر شعراء الفرس بملحمة الفرس الكبرى [الشاهنامه] وهو ما يؤكد القلب القصصي في تراث العطار.
- 4- حضور شخصية النبي ﷺ في التراث الصوفي الفارسي بشكل أكبر من النصوص الصوفية العربية .
- 5- الرمزية والإشارة في الكتابة الصوفية عند العطار في مديحه للنبي ﷺ، وهي رمزية تتناسب مع المقام النبوي، فالعبارة لا يمكنها أن تصف قدره، والإشارة تجعل المعنى مفتوحا وعميقا، إذ يمكن من خلالها بناء ألف خيال جميل في حبيب الحق سيدنا محمد ﷺ.
- 6- مزج العطار قلبه الشعري بالحب والعشق، وهو مطلب يفرضه الجنب الأحمدي، وهذا ما يجعل مديح العطار متعاليا على المدائح الأخرى وينقل النص من سمة تاريخية إلى سمة روحانية سماوية تتناسب مع مقام سيدنا محمد ﷺ.
- 7- صعوبة التحكم في النص الصوفي وترتيب محاوره وأفكاره لكونه كتب في حالة وجد، مما يُنتج نصا دافقا وسيلا من المعاني قد يجرف معه المقدمات والتراتب المنطقية كلها، وهذا ما يجعل كثيرا من الأفكار تتكرر وتتولد كل لحظة، مما يجعل بناء القصيدة مزيجا متداخلا يصعب ترتيبه .
- 8- استثمار العطار للنصوص الدينية -الآيات والأحاديث والآثار وتوظيفها بما يخدم المعنى مما يُكسب النص حياة وخلودا وجدة .
- 9- سحر العطار وجاذبية بيانه أسرة لدرجة أن القارئ ينساق وراء عباراته وهذا ما يجعله يفقد رأس الخيط، مما يستدعي قراءة جديدة كل مرة.
- 10- صعوبة انفتاح اللغة الرمزية وفك مغاليقها وضرورة الحضور الروحي في قراءة نصوص العطار، فلا يُمكن الظفر بالمعنى إلا بركوب سفينة العشق والإبحار في عالم العطار، وهذا تحدي معرفي كبير جدا في قراءة التراث الصوفي وإبراز جمالياته.

¹ إلهي نامه، ص 221 وما بعدها. وقد اقتضت على ذكر هذا النص وقد جاء مطولا فتصرفت فيه.

- 11- تجلي الرحمة والشفقة في سيرة المصطفى ﷺ، فهو المنقذ للإنسانية والآخذ بيدها، ورحمته بالإنسانية تجلي لرحمة الله التي وسعت كل شيء، وفي هذا تأكيد على عالمية رسالته وختميته.
- 12- الأفق الاستيعابي في الخطاب الصوفي الذي يترفع عن الإقصاء والتهميش، فشخصية النبي ﷺ مستوعبة لجميع البشر باختلافاتهم الملية والمذهبية، وفي هذا دليل على صدق نبوته ﷺ، وهو ما يتجلى في طريقة عرض العطار لحديث الافتراق.
- 13- توفيق العطار في مدحه للنبي ﷺ، وقوله بأن أحدا لم يستطع أن يكتب مثل مديحه صحيح إلى حد ما، فقاعدة [الحكم عن الشيء فرع عن تصوره] تؤكد هذه الحقيقة، فالذي يقرأ للعطار يدرك هذه الحقيقة

توصيات واقتراحات:

- نسجل في ختام هذه الورقة البحثية بعض التوصيات التي نراها جديرة بذلك، ومن أبرزها:
- 1- استثمار التراث الصوفي الذي اعتنى بشخصية النبي ﷺ، نظرا للصورة الرفيعة والسامية التي رسمها المتصوفة للجناب الأحمدي ﷺ، وهي صورة تُحاكي المنزلة التي رسمها القرآن الكريم للنبي ﷺ.
 - 2- العناية بالأدب الفارسي والعمل على ترجمته إلى اللغة العربية، لكونه عامل مُسهم في رسم صورة مُشرقة عن نبي الإسلام وتعاليمه، وعامل مُسهم من جهة أخرى في التعرف على آداب الأمم الإسلامية.
 - 3- عقد ندوات وأيام دراسية ومؤتمرات يكون موضوعها الرئيس الحديث عن صورة النبي ﷺ في التراث الإسلامي بأكمله، وهي فكرة يمكنها أن تُسهم في استثمار مختلف الجهود التي بذلها علماء الأمة لتقريب معاني الإسلام كما جاء بها النبي ﷺ.

قائمة المصادر والمراجع :

- 01- ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية 1423 هـ - 2002 .
- 02- ابن عربي ، ترجمان الأشواق، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 01، 2005.
- 03- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، قدم له: علي ملحم، دار ومكتبة الهلال، ط 1، 1993.
- 04- أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير ، دمشق، ط 02، 1425 هـ .
- 05- أبو القاسم الفردوسي، الشاهنامه ، ترجمة: عبد الوهاب عزام، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1932.
- 06- أحمد ناجي القيسي، عطار نامه أو فريد الدين العطار وكتابه منطق الطير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط 01، 1978.
- 07- إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ، تعريب: إبراهيم أمين الشورابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 01، 2004 .

- 08- إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون رواية عن جلال الدين الرومي، تأليف: ترجمة: خالد الجبيلي، دار طوى للنشر والثقافة والإعلام، لندن، -01، 2012.
- 09- أنيماري شيميل، حياتي الغرب شرقية، ترجمة: عبد السلام حيدر، المشروع القومي للترجمة + المجلس الأعلى للثقافة، العدد: ط01، 2004.
- 10- البوصيري، قصيدة البردة، طبعة الزاوية التيجانية، تماسين، 1434هـ.
- 11- جلال الدين الرومي، كتاب فيه ما فيه، تر: عيسى علي العاكوب، دار الفكر المعاصر، بيروت + دار الفكر دمشق، ط01، 2002.
- 12- جلال الدين الرومي، المشنوي، ترجمة: محمد عبد السلام كفاي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط01، 1966.
- 13- العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 14- فريد الدين العطار، إلهي نامه، ، ترجمة ودراسة: ملكة علي التركي، آفاق للنشر والتوزيع، ط01، 2018.
- 15- فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، تر: محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تح: محمد أديب الجابر، دار المكتبي، ط01، 2009.
- 16- فريد الدين العطار، من روائع الشعر الفارسي الصوفي - منظومة "مصبيت نامه" أو "كتاب الأم"، ترجمة: محمد محمد يونس، المجلس الأعلى للثقافة، ط01، 2005.
- 17- فريد الدين العطار، منطق الطير، بديع محمد جمعة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2002.
- 18- القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط03، بدون تاريخ، ج02.
- 19- قيصري، شرح فصوص الحكم، تحقيق: حسن زاده الأملي، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، تهران، ط1426، 01هـ.
- 20- محمد بن المنور، أسرار التوحيد أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد، تر: إسعاد عبد الهادي قنديل، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.
- 21- محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق، بدون تاريخ.
- 22- ملكة علي التركي، مدخل إلى الأدب الصوفي الفارسي مع دراسة وترجمة للمنظومة الصوفية "إلهي نامه"، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ط02، 1998.
- 23- نذير العظيمة، المعراج والرمز الصوفي، دار الباحث، بدون تاريخ.
- 24- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ، دار صادر، بيروت، ط02، 1995.